من :نثار الأخبار عن آل نافع الأنصار مرتضى الأنصاري من ص ١٢٢-ص ١٤٢

المطلب الثاني:مناقشة موضوعية وهادئة للروايات الشفوية في نسب آل نافع الأنصاري واسم الصحابي الذي يعود إليه نسبهم:

السلسلة والروايات،واسم الصحابي الذي يعود إليه نسب آل نافع:

لا أبحث في نسب آل نافع الأنصاري عن طريقة لإثبات ما لم يكن ثابتا،فنسبة آل نافع الأنصاري إلى الأنصار ،متواترة ومشتهرة ومستفاضة،وليست موضع الشك يوما،وليست بحاجة لمن يثبت الثابت أو يؤكد المؤكد،فلقب الأنصاري لم يفارقهم يوما،منذ خرج جدهم من المدينة في القرن الأول الهجري،وإلى يومنا هذا،وليس هذا من قبيل ما هو قابل للاختلاف عند سائر علماء النسب؛لأن قاعدة المشهور: بقاؤه على شهرته ،وهي من أهم القواعد التي يعتمدها علماء الأنساب لضمان استقرار النسب،ولا يتطرق الشك في الثابت،لئلا يفضي للتنازع وطرح الاحتمالات التي تكون من قبيل الوسواس المحرم،وقد درجت القبائل قديما وحديثا في إثبات أنسابهم وأصولهم،على قبول النسب عند اشتهاره واستفاضته بين من يجاورهم ويعاشرهم ويخالطهم من القبائل بلا إنكار أو معارض ممن يعتد برأيه في الأمر، ؛ولهذا لم يختلفوا في ثبوت الثابت والمؤكد ،ولم يحتج عندهم للأدلة،مثلما لا تحتاج الشمس لمن يثبتها عند شروقها..؛وإنما كان اختلافهم في طرق إثبات ،المشكوك فيه، أوما لم يكن ثابتا من الأنساب،ولم يشتهر في قطره،كالأسر التي لا تحمل لقب الأنصاري،ولا تعرف به في موطنها،وإن كان بعض كبار السن منهم سمعوا من بعض آبائهم وأجدادهم أنهم من الأنصار. .

فالمناقشة هنا ليست للثابت والمؤكد والمجمع عليه،وهو نسبة آل نافع للأنصار.

وإنما ستكون المناقشة محصورة فقط في موضع الخلاف بين آل نافع أنفسهم،وهو الصحابي الذي يعود إليه نسبهم.

فالرواية الشعبية لدى أسرتنا آل نافع الأنصاري هي أن جدنا الذي خرج من المدينة اسمه يعقوب ،وأنه من ذرية: أبي بكر محمد بن عبد الله العربيّ!ثم عدلت في ستينات القرن الماضي، إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ،وأن يعقوب الأنصاري، خرج من المدينة في خلافة يزيد بن معاوية، وبعد فتنة وقعة الحرة الشهيرة برفقة إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ،مؤسس دولة

من :نثار الأخبار عن آل نافع الأنصار مرتضى الأنصاري من ص ١٢٢-ص ١٤٢

الأدارسة في المغرب الأقصى ،وسبب تلك الفتنة تحفظ غالبية الأنصار في ذلك الوقت على مبايعة يزيد بن معاوية بالخلافة بعد والده معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وكانوا يرون أنها مخالفة للمعاهدة التي بموجبها تنازل الحسن بن علي رضي عنه لمعاوية عن الخلافة، فقام يزيد بإرسال جيش كبير إلى المدينة المنورة واستباحها ثلاثة أيام بلياليها بقيادة مسلم بن عقبة ويلقب ب مسرف بن عقبة ؛لكثرة ما أراقه من الدماء بارتكابه لأول مجزرة في تاريخ المسلمين ضد بعضهم، وهناك من يتحفظ على صحة هذه الرواية وقصة وقعة الحرة جملة وتفصيلا ؛ لكنها ضمن الرواية التاريخية المشهورة في سبب خروج الأنصار من المدينة ، وذكرت في الكثير من المصادر التاريخية المعروفة ،ويضاف إليها من الأسباب في خروج الأنصار من المدينة المنورة مشاركتهم في الفتوحات الإسلامية والجهاد والدعوة إلى الله والهروب من الفتن ،ومن ضمن الرواية الشفوية المسموعة أن غالبية الأنصار الذين هربوا من الفتن نزحوا إلى بادية المدينة المنورة لأسباب سياسية ،وذابوا في قبيلة حرب ولم يعد يعرف عنهم أنهم من الأنصار..

والذين شاركوا في الفتوحات الإسلامية اتجهوا إلى كل الآفاق، وجهات الأرض الأربع فمنهم من استقر في الهند والعراق والشام وبلاد الفرس وتركيا ،ومنهم من استقر في مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والأندلس..وتزعم الرواية الشعبية بالنسبة لنا أن جدنا يعقوب المشار إليه في أول الحديث استقر مع الشريف إدريس بن عبد الله في المغرب الأقصى وفي مدينة فاس تحديدا ومنها نزح جدنا إلى الجزائر ثم إلى صحراء أدرار ومنها إلى صحراء تمبكتو..

وهناك تحفظات وبعض الأسئلة حول هذه الرواية الشعبية؛ لعدم منطقيتها ولكونها كتبت حديثا من وراقين ودراويش من غير أسرتنا، رغم ما هو معلوم ومشتهر من كون الشيخ نافع الأنصاري وسلالته من العلماء العاملين، الذين احترفوا التعليم والتدريس والدعوة والإفتاء والخطابة والإمامة،وقرض الشعر وهو ديوان العرب، وكانت لهم الريادة والزعامة الدينية في صحراء تمبكتو مناصفة مع أشقائهم علماء قبيلة كنتة، ومع ذلك لم يكتبوا نسبهم وتاريخهم ،وإنما كتبه بعض الدراويش من غيرهم، وقد شاهدت ذلك بنفسي وأدركته في الصحراء وهو اختصاص فئة من

من :نثار الأخبار عن آل نافع الأنصار مرتضى الأنصاري من ص ١٢٢-ص ١٤٢

الوراقين الدراويش في تحرير سلاسل نسبية إلى آدم لكل مريديهم والمترددين عليهم من العوام في شتى القبائل والأسر وشاهدت ذلك بأم عيني ، ويتم ذلك مقابل أشياء بسيطة جدا من هدايا أو طعام أو نقود..ومن الطريف في ذلك (قصة نسب كل تزه أهو) المعروفة عندنا في الصحراء الكبرى.

حيث يروى أن أسرة جاءت لأحد الوراقين وطلبوا منه أن يكتب لهم سلسلة نسبية بشرط أن يبدو الورق قديما، فكتبها لهم ثم اشتواها على دخان النار حتى مال لون الورقة إلى اللون الأصفر الداكن..فاشتهروا بلقب (كل تزه أهو) نسبة لهم إلى الورق المشوي على دخان النار..!!

والذي أميل إليه وتطمئن إليه نفسي،هو اختيار الرواية المنسوبة إلى علمائنا من آل نافع الأنصاري،فهم أعلم بحقيقة نسبهم من غيرهم،وهي رواية الشاعر والفقيه الشيخ أحمد بن عبدالله الأنصاري ،رواية عن شيخه العلامة والقاضي محمد المختار بن حود الأنصاري،والشيخ سديدي القلادي الأنصاري،وابنه عبدالرحمن القلادي الأنصاري،ورأي الشيخ محمد صالح الأنصاري شيخ آل نافع الأنصار في المملكة العربية السعودية ،ورأي الدكتور محمد بن محمد الأنصاري –رحمهم الله جميعا– وبناء على قراءات ،ومتابعات ،وبحث مستمر، وما جمعته ،من مصادر ،ومراجع مكتوبة وشفوية: أننا من ذرية قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه ، ومن الثابت أن قيسا كان واليا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما على مصر إبان خلافة علي رضي الله عنهما .

وأن أجدادنا من ذريته من بني الأحمر الذين كانوا آخر ملوك الطوائف في الأندلس ، ونزحوا منها إلى فاس بعد سقوط الأندلس عام ٨٩٨هـ ، ثم توغلوا في الصحراء الجزائرية الغربية مع المنصور الذهبي ، واستقر بعضهم في تمبكتو، وكانوا حينها ضمن الحكم المغربي العلوي في تمبكتو،والذي آل أمره إلى الاستعمار الفرنسي،ثم إلى الجزائر بعد استقلالها،كما هو حال الكثير من المناطق التي لم يستطع العرش العلوي المحافظة عليها بعد استقلال المغرب الأقصى، وكان أمير اتحادية الأنصار قبل الاستعمار الفرنسي وما تلاه: الأمير الطاهر بن المهدي الأنصاري عاملا لملك المغرب في منطقة تمبكتو، ويبايعونهم، ويجمع بين الأنصار والأشراف قديما وحديثا

أواصر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والحلف النبوي الشريف مع الأنصار، ولا يزال بعض خطباء تمبكتو يخصون ولاة الأمر من ملوك المغرب العلويين بالدعاء في خطب الجمعة إلى عهد قريب.

ولا زال بعض العلماء والكتاب يختمون كتاباتهم بشعار علم المملكة المغربية! حيث كانوا،ولا زالوا حالياً ببادیتنا في الصحراء الكبرى،وفي محاضر الكتاتيب ،وحلقات تحفيظ القرآن الكريم، يختمون على الألواح عند آخر كل سورة وجزء وربع بختم النجمة المغربية ،وهو الشعار الذي يتوسط العلم المغربي.

المطلب الثالث: سبب الترجيح:

إن الرأي الذي اخترته في بحثي المتواضع هو الذي يتفق مع ما صرح به شيخنا ووالدنا العلامة محمد المختار بن حود الأنصاري قاضي الصحراء لأحد طلابه وهو الفقيه والشاعر الشيخ أحمد بن عبد الله الأنصاري ،عندما عرض عليه أرجوزة طويلة نظم فيها سلسلة النسب الشعبية التي كتبها بعض الدراويش من غير آل نافع متقربين بها إلى بعض أعيان الأنصار، كما يتفق مع ما يروى عن الأمير محمد علي بن الطاهر رحمه الله ومنه قصة دخول جدنا للصحراء قادما من فاس ، والحقيقة، أن الأجداد لم يتركوا لنا سوى الرواية الشفوية والشعر وكلاهما يثبت أننا من بني نصر والخلاف في هذا مقبول ولا ندعي أنه اليقين ، والمؤكد أننا من الأنصار الخزرج النازحين من الأندلس بعد سقوطها ونزل أجدادنا فاسا،كما سبق، ثم توغلوا في الصحراء عن طريق صحراء الجزائر الغربية،ومناطق: توات وأدرار وعين صالح وآهقار وبرج باجي مختار،وتمنراست وآيير،ثم أروان ،ثم تمبكتو.

وقد أكدت ذلك عدة روايات شفوية مثل رواية الفرنسي بول مارتي ؛لأن مصدره أسرتنا وليس غيرهم ، وكذلك دراسة شبه رسمية أعدتها حكومة مالي عن قبائل شمال مالي وقام بإعدادها باحثان محايدان من سودان مالي.. ومروي أيضا عن العلامة سديدي القلادي الأنصاري وابنه عبدالرحمن ومروي أيضا عن قاضي تمبكتو محمد محمود الأرواني،وسمعته من الشيخين الكريمين : (محمد صالح بن محمد الأنصاري شيخ الأنصار من آل نافع في السعودية وأخيه الدكتور محمد بن محمد بن الأمين الأنصاري) منذ عام ١٤٠٠هـ في النسبة إلى بني نصر من غير

تعيين،كما أنه مروي في شعرهم وديوانهم الوحيد.

ومن المعلوم أن وجود آل نافع الأنصاري في الصحراء الكبرى، إنما كان في عصور التاريخ المظلمة،والتي خلت من التدوين،إلا ما ندر،والرعيل الأول من آل نافع الأنصاري، وذريته الذين استقروا في تمبكتو ،وأسسوا اتحادية وسلطنة عظيمة،لم يكن تدوين الأنساب ضمن اهتماماتهم؛ لثقتهم في أنفسهم ومعرفتهم بنسبهم وعدم حاجتهم إلى من يثبت لهم نسبهم ، فلم يكن تدوين النسب من أولوياتهم أو اهتماماتهم في حينه، رغم حفظهم له شفويا، ولهذا اكتفى جزء منهم بالتفويض، وبالرواية الشفوية المتداولة بين بعض خاصتهم، واكتفوا بتواتره وشهرته واستفاضته في شمال أفريقيا وغربها بين قبائلها،بلا مخالف.

المطلب الرابع:أسباب تشويه تاريخ الأنصار:

وتاريخ الأنصار بوجه خاص تعرض للتشويه بشكل مفضوح، لم يتعرض له تاريخ أية قبيلة؛ لأسباب لا تخفى على أي مهتم ومتابع منها على سبيل المثال : تشريف الله للأنصار بنصرة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ،وهجرته إليهم، وتركه لمكة المكرمة في وقت كانت العرب كلها تدين لقريش ،وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منهم نسبا، ولقسوة شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه عليهم، في وقت أيضا كان الشعر فيه ترتفع القبيلة العربية ببيت منه وتنخفض بآخر!..

ومن مظاهر هذا الظلم والافتراء الذي تعرض له تاريخ الأنصار بشكل لا يشبهه أي تاريخ..!؟

أ- ظهور الأثرة التي أخبر بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ضد الأنصار بعد وفاته فتغير عليهم الناس وقلبوا لهم ظهر المجن وأُخِّروا عن مكانتهم وقُدم غيرهم فاضطروا للعزلة والخروج من المدينة مكرهين!..

ب- أحداث سقيفة بني ساعدة وما جرى فيها ،رغم أن بعض الروايات وثقته بدقة وأمانة، إلا أن ما يروجه جوقة الإعلام المضلل،وكتابه وشعرائه بخلافه .. وهو امتداد لإعلام ابن سبأ ،ودوره في فتنة سيدناعثمان رضي الله عنه ..وقد تعمد بعض الإعلام العربي بعد سايكس بيكو تشويه تاريخ بعض الدول الإسلامية بنفس الطريقة.

ج- كانت الأثرة ضد الأنصار تحصل على استحياء،وبدون تعمد، وبتكتم شديد،

وبطرق لبقة؛ ولكنها برزت في عهد الدولة الأموية ،بشكل واضح للعيان ،ممثلة في وقعة الحرة التي حدث فيها أول مجزرة في الإسلام ضد الأنصار في المدينة المنورة،وهجاء الأخطل النصراني للأنصار ،وتشويه سيرة الصحابي الجليل سيد الخزرج سعد بن عبادة رضي الله عنه ،وزعم أن الجن قتلته وهو (يبول)..!! ونشر الروايات الملفقة ضد حسان بن ثابت رضي الله عنه! في قصة جبنه وحكومة النابغة المفبركة والملفقة!!..

د –قصة سقوط غرناطة ،وحجم الافتراءات ،والتضليل ،والتزوير، الذي انتهج فيها، بشكل لا يقربه إلى الذهن ، سوى دور وزير الإعلام النازي في عهد هتلر،أو مدرسة إذاعة صوت العرب وأحمد سعيد ،وما تلاها من جهود بعض الإعلام العربي في قلب الحقائق ،وجعل الحق باطلا ،والباطل حقا، وتغطية الشمس بالكف..حتى في أيامنا هذه عندما صارت وسائل الإعلام الحديثة، بأيدي الأطفال ،قبل الكبار، وصارت أحداث العالم بأسره معروضة، على الأجهزة والشاشات..ومع ذلك لا يتورع هذا الإعلام ولا يخجل من كمية الكذب والافتراء التي يبثها ليل نهار..

ومن المؤسف أن قصة سقوط غرناطة اليوم ،يتصدى لتصحيحها ،وتصويبها بإنصاف، كتاب غربيون منصفون، في حين نجد الكتاب العرب، لا يزالون ينشرون نفس الأباطيل، ويكررونها،دون أن يكلف أحدهم نفسه، مجرد التشكيك، وكأنها نصوص مقدسة؛ بل لاحظنا استخدام بعض الكلمات النابية التي ينفر من مثلها الذوق السليم والفطر السوية، والتي لا يقول أحد بأن إثباتها أونقلها يعد من الأمانة العلمية بحال من الأحوال، إذ لم ترد في نص قرآني أو نبوي! أو مرجع تاريخي موثوق لأحد علماء الأمة المعتبرين،ويتعاظم حجم الاستنكار والمصيبة إذا كان ناقلها منتسبا للأنصار!!..

وللمتابع أن يسأل : أين قصص الخزي والعار في سقوط بقية الأقاليم ..وأين قصص التباكي على قرطبة وقشتالة وطليطلة ..إلخ،وهل فقدنا غرناطة بين عشية وضحاها؟ أليس بين سقوط طليطلة وغرناطة ٤٠٠ سنة ؟ ولماذا غرناطة تحديدا تحت هذا المجهر غير المنصف؟ ألم تسقط بغداد على يد المغول قبلها !؟ ألم تسقط القدس على يد النصارى أكثر من مرة؟ وهي اليوم في قبضة يهود؟!

من :نثار الأخبار عن آل نافع الأنصار مرتضى الأنصاري من ص ١٢٢-ص ١٤٢

المبحث الثالث:رد الشيخ الفقيه والشاعر والأديب أحمد بن عبد الله الأنصاري على المخالفين لروايته،وهو مرجعنا في تاريخ الأنصار من أبناء نافع الأنصاري ونسبهم، وقد جمع من المخطوطات والمستندات والوثائق ما لم يجمع غيره مثله أو قريبا منه، ومن الرواية الشفوية عن جهابذة علماء الأسرة من السلف الذين ثنى ركبه عندهم من أمثال سماحة العلامة والقاضي محمد المختار بن حود الأنصاري وسماحة العلامة الشيخ الحسن بن محمد المصطفى الأنصاري وسماحة العلامة سديدي القلادي الأنصاري،وابنه العلامة عبد الرحمن بن سديدي القلادي الأنصاري، وسماحة العلامة والقاضي محمد المولود أمّلوالأنصاري وغيرهم كثير.

وهو علم فذٌّ ومناضل مخلص عن تاريخ آل نافع الأنصاري،وما تعرضوا له من تقلب أحوال الزمن والدول، ولو لم يكن أنصاريا لتسابقت إليه الركبان وتنافس على ما عنده الكتاب والمدونون؛ ولكن زامر الحي لا يطرب كما قيل في المثل، فلم يحرض أحد المخالفين له في الرأي على سبر غوره ،أو إدراك ما عنده قبل فوات الأوان ، والندم عندما لا ينفع الندم،بعد انتقاله للرفيق الأعلى –رحمه الله وأسكنه فسيح جناته– وقد أطلعته على بعض ما كتب في نقد السلسلة التي نقحها وجمعها – مما لا يخرج برمته عن قاعدة : (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)،تلبية لما يطلبه المستمعون! وطلبت من شيخنا حفظه الله أحمد رأيه فيمن يعارض قوله وروايته في نسب آل نافع الأنصاري من بعض كتاب آل نافع أنفسهم، ففعل جزاه الله خيرا وأعانه على عقوقنا ،وكان مجمل رأيه رعاه الله :

١– توجد سلسلة متداولة متأخرا بين الأنصار التمبكتيّين نسبها كاتبها إلى محمد بن قطب نقلاً عن عليّ بن النّجيب نقلاً عن(الْفَغْ) الأمين بن أحمد بن محمد بن أحمد ، وتنتهي تلك السّلسلة إلى أبي بكر محمد بن عبد الله العربيّ ، ولقد أخطأ كاتبها خطأً فاحشاً حين ظنّ أنّ محمد بن عبد الله العربيّ هو : أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربيّ المالكيّ الإمام المشهور بدلاً عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العقيلي الغِرْنَاطِي كاتب، ووزير أبي عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر، وذلك بسبب تشابه الاسميْن واشتهار ابن العربيّ المالكيّ ..وإذا أمعنّا النّظر

فإنّنا سنجد أنّ أبا بكر بن العربيّ المالكيّ كان من علماء القرن الخامس الهجريّ ، فيجب أن يكون بينه وبين نافع ، حسبما قرّره المؤرخون . ما لا يقلّ عن ثلاثين جَدًّا ، بينما الذي بينهما في هذه السّلسلة عشرون جَداً فقط ، والفرق كبير جِداً ،وهو عشرة أجدادٍ ، فتبيّن بهذا أنّه من المُحال أن يكون أبو بكر بن العربي المالكي هو المقصود تحديداً.

إذن فالمقصود : سميُّه أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربيّ العقيليّ نسبة إلى جَدِّه عقيل بن نصرٍ الأنصاري . وأيضاً: فابن العربي المالكيّ الأشبيليّ مُعافريّ من اليمن ولا علاقة له بالأنصار البتّة ، فلزم استحالة أن تكون نسبة هذه القبيلة الأنصاريّة إليه صحيحة..

وهناك شبهةٌ أُخرى تُشَكِّكُ في أمر هذه السّلسلة وهي: أنّ كاتبها عَزى روايتها إلى محمد بن قُطْب المعروف (بأبَّانِنْ) نقلاً عن عليّ بن النّجيب . وعليٌّ هذا ليس أنصارياً . نقلاً عن (الْفَغْ) الأمين بن أحمد . والْفَغْ أيضاً ليس من الأنصار. فلماذا يروي محمد بن قُطْب سلسلة نسبه عَن غير أبيه وأجداده وهم مَنْ هُمْ علماً وصدقاً ؟ إن ذلك ليثير الارتياب في صحّة نسبتها إلى الشيخ محمد(أبَّانِنْ) بن قُطْب فهو – رحمه الله – أعلم وأجَلّ من ذلك..

ولعلها كانت من وسائل إخفاء النسب الذي اعتُمِد في تلك الفترة لصرف نظر الأعداء والمتربصين.

٢- هناك لبس في نسبة قبيلتنا إلى محمد بن العربيّ ، فأبو عبد الله محمد بن عبد الله العربيّ العقيليّ ليس جَدًّا لهذه القبيلة ، وإنّما كان جَدّها: أبو عبد الله الصّغير آخر حكّام غرناطة من بني الأحمر ، وابن العربيّ كان وزيراً وكاتباً له ، ولكن بسبب ما بينهما من الوشائج والصّلات عرف أبناء ابن الأحمر : بأولاد ابن العربي ، ولعلّ ذلك راجع إلى موقف أبيهم مع الوَطَّاسِيّينَ ومشاركته إيّاهم في حرب السَّعْدِيّين حتى قُتل في وقعة أبي عقبة ، الأمر الذي اضطرّ أبناءه في عهد السَّعْدِيّين إلى التَّوَارِي خلف ظهر وزيرهم ابن العربيّ عوضا عن أبيهم نصيرِ الوطّاسيّين أعداء السّعديّين حتى تمكّن نافع من توطين الأسرة في صحراء تِنْبَكْتُو واستقرارهم بها . وأيضاً بسبب تعييرهم بما روّجه بعض المُغْرِضين أنصار سردية الكنيسة الكاثوليكية المتطرفة في

من :نثار الأخبار عن آل نافع الأنصار مرتضى الأنصاري من ص ١٢٢-ص ١٤٢

أسبانيا،من تحميل أبي عبد الله الصّغير مسئولية ضياع الأندلس الّذي كانت غرناطة- دارُ ملكه- آخرَ مدنه سقوطا، وكأنّ ما سقط قبلها من مدن الأندلس هو الّذي تولّى كبر سقوطها ، ولم يكف أنّ بني نصر استطاعوا أن يدافعوا عن دولتهم قرونا كانت تتساقط خلالها دول الأندلس الأخرى كما تتساقط حبّات عقد انقطع نظامه حتى كانت دولتهم آخر دوله سقوطاً، وسقطت بعدما تكالب عليها الأعداء والظّروف وعُدم الناصر والمعين ، الأمر الذي جعل آل نصر من بعده يُخفون نسبهم ضمن أسباب أخرى ذكرناها من قبل .

٣- الأسماء الواردة في السلسلة المتداولة ثبت أنّ فيها خلطا وتحريفا . ربما لسياسة الإخفاء المتبعة . حيث تذكر السلسلة الاسم واللقب أو اللقبين والكنية لشخص وتجعله ثلاثة أشخاص أو أربعة أب وابن وحفيد وابن حفيد وهم في الحقيقة شخص واحد والدليل هو: الشجرة التي أوردها الفرنسي بول مارتي في آخر كتابه عن الأنصار وعدّ فيها (لمتون وإسحاق وأبو مناف) ثلاثة بينما هم واحد ، بدليل أنه ذكرهم في أول الكتاب شخصا واحدا هو: إسحاق السباخ وكنيته أبو مناف ولقبه لمتون والسباخ ، وهم كما ترى أربعة بالسباخ وهذا مثال فقط ، وهو أمر مأخوذ به في السلسلة المتداولة ،وقد أدركنا ذلك بداية ؛لكنا سلكنا مسلك من سبقنا ! والاعتبار عندي بكلام شيخي العلامة محمد المختار بن حود الأنصاري آنف الذكر ولم تكن السلسلة هي المعتمد عندي في ثبوت نسبنا إلى بني الأحمر..لما اكتنفها من الغموض والضبابية وتبنيها لبعدين وتوجهين : توجه سائر على التعمية وإخفاء الحقيقة لأغراض سياسية وأمنية بحتة ،وتوجه يسير على تذويب نسب آل نافع في أخوالهم .

١- لا توجد سلاسل نسب أخرى عند آل نافع ، وإنما هي سلسلة واحدة أجريت عليها تعديلات مختلفة من عدد من المتأخرين لعدم ثبوتها عندهم، ولما كانت تشتمل عليه من أخطاء ظاهرة، فاجتهد المعنيّون في تصحيحها وتصويبها كل حسب ما أدّاه إليه بحثه واجتهاده .. والذي ظهر لنا بعد البحث والتحرّي والاستقصاء الذي دام ما يزيد على ثلاثة عقود أن السلسلة انحرفت بعد يوسف أبي يعقوب والذي هو ابن أبي عبد الله الصغير لتدخل ضمن سلسلة أخرى

غيرها إما بقصد صرفها عن أبي عبد الله ،لسببين: أحدهما :هروبا مما ألصقه به بعض المؤرخون الإسبان زورا وبهتانا من إثم وعار سقوط غرناطة،واستنسخها المصريون في عصر النهضة العلمية بكسل شديد،لعدم الدقة والتحري في نقل السردية الإسبانية المغرضة، وهي فرية دحضها بالأدلة الواضحة أولى من التهرب منها.

والآخر: أو لغاية ما لناقلها أو كاتبها ، أو لخطأ غير مقصود.. والله أعلم ..وعلى أية حال تبقى محل خلاف كما هو الحال في معظم السلاسل النسبية لمعظم الأسر والقبائل التي تعتمد على الاجتهاد والظن فيما بعد الجد العاشر، وآل نافع مجمعون عليها إلى محمد أحمد الملقب (المظفر أو الآييري) وهو الجد الثالث عشر أو الرابع عشر أو الثاني عشر لمعظم المعاصرين اليوم، ولا يحتاجون إليها لإثبات نسبهم إلى الأنصار؛ لاستفاضته وتواتره وشهرته، وإن وقع الخلاف بين بعضهم في سلسلة نسبهم؛ إلا أن إجماعهم على أنهم من الأنصار الخزرج ،ولا يختلف عليه اثنان منهم،ولهذا نعد موضوع السلاسل النسبية هذه من الترف العلمي،ومن لزوم ما لا يلزم .

٥-كان الشيخ محمد بن المنذر بن إبراهيم الأنصاري-رحمه الله- هو أول من استشكل نسبة القبيلة إلى أبي بكر بن العربي المالكي (صاحب كتاب أحكام القرآن) المشهور ، ونسبته تلك السلسلة إلى بني كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان، إلى أن وصلت إلى نبي الله إبراهيم ومن ثم إلى نوح ثم إلى آدم أبي البشر، أي أن السلسلة تلتقي مع نسب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كنانة فصرنا بذلك مضريين بدل أن نكون أنصارا قحطانيين وصار ابن العربي المالكي مضريا بدلا عن كونه معافريا يمانيا قحطانيا.. فرأى أن من كتبوا السلسلة أخطأوا فوضعوا أبا بكر بن العربي واسمه محمد بن عبدالله المالكي المعافري،ت ٥٤٣هـ ،بدلا من محمد بن أبي بكر بن حزم الأنصاري ؛لاستحالة نسبة القبيلة الأنصارية إلى رجل معافري من اليمن أو نسبتها إلى مضر وهي قحطانية .. فهو أول من وضع اسم محمد بن أبي بكر بن حزم في السلسلة ،وليس من أنشأوها، وقد

رجع عن ذلك بعدما اتضح له عدم صحته وقال:هو اجتهاد مني تبين لي خطأه فرجعت عنه.

٦- أبو بكر بن حزم والي المدينة النبوية لبني أمية تابعي من القرن الأول للهجرة ولم يغادر الجزيرة العربية والشام ولم تطأ قدمه إفريقية والأندلس؛ بينما ابن العربي المالكي عاش بين القرنين الخامس والسادس الهجريين وهو أندلسي إشبيلي ليس معاصرا ولا مجاورا لأبي بكر بن حزم فلا يمكن الالتباس بينهما ..

٧- إن أحمد بن عبد الله بن محمد الأنصاري هو الذي سمى السلسلة المتداولة باسم (السلسلة الذهبية) في ربيع الأول عام ١٣٨٨ هـ عندما نظم تلك السلسلة في أرجوزة مطلعها :

حمدا لمن جعلنا أنصارا لنصرنا الإسلام والمختارا

وذلك نزولا عند رغبة الشيخ محمد أحمد بن الطاهر بن المهدي الأنصاري وكان إذ ذاك حاكما لمنطقة (أغاروس) . ولدى أحمد بن عبد الله ما يثبت ذلك من الوثائق والمخطوطات التي كان الشيخ محمدأحمد الأنصاري يحتفظ بها إلى أن قدم بها إلى المملكة فسلمها لأحمد بن عبد الله الأنصاري ..

٨- كان أحمد بن عبد الله الأنصاري هو من استنتج أن أبابكر محمد بن العربي المالكي التبس على كاتب السلسلة مع أبي عبد الله محمد العربي الأنصاري الغرناطي لتقارب الاسمين ووجودهما معا في الأندلس **وذلك بسبب شهرة ابن العربي المالكي** رغم ما بينهما من زمن..والأنصاري منهما كاتب أبي عبد الله الصغير ووزيره ومعلم أبنائه مما جعلهم ينسبون إليه بالغلبة كما ينسب أبناء محمد الأمين(أبّين) بن الحاج عبدالله إلى أولاد إدريس وتسمية عثمان بن محمد الأمين أبّينْ (بابن عَلِي) ، وعليٌّ هذا زعيم من البرابيش من قبيلة أولاد إدريس جاوره عثمان بن محمد الأمين(ابّينْ) فكناه الأنصار (بابن علي) وسموا الأسرة (أولاد إدريس) للجوار وليس للنسب ..!

من :نثار الأخبار عن آل نافع الأنصار مرتضى الأنصاري من ص ١٢٢-ص ١٤٢

والذي دعاه – أعني أحمد – إلى ذلك هو ما أخبره به شيخه العلامة محمد المختار بن حوّد الأنصاري وهو: أن هذه السلسلة التي بأيدي الناس غير صحيحة والصحيح أن نسب آل نافع إنما يعود إلى ابن الأحمر آخر ملوك بني نصر وأنهم كانوا يخفون ذلك لأسباب أمنية وسياسية واجتماعية.. وشهد ذلك اثنان من جماعتنا حينئذ، وهذا ما أكّده له الشيخ عبد الرحمن بن سديدي الجلادي الأنصاري عام ١٣٨٩هـ قبيل وفاته عندما أجابه عن قصيدة مدحه بها عندما أورد الشيخ عبد الرحمن الأنصاري فيها هذا البيت:

آباؤه من عند عبد الله وــ الده إلى قيس كرام عراجن

فسأله أحمد: وهل نحن من أبناء قيس بن سعد حقا ؟ فقال: نعم إننا معشر أحفاد المزمل يرجع نسبنا إلى بني الأحمر الذين هم من ذرية قيس بن سعد بن عبادة .

٩–نزولا عند رغبة بعض المتابعين والمهتمين وإلحاحهم علي في تنقية السلسلة المتداولة نوردها على النحو التالي إلى قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه بعد إغفال المكررات من الكنى والألقاب ، علما بأن هذا التنقيح وهذه المراجعة لهذه السلسلة جرت منذ مدة ولكنا لم ننشرها لعدم رؤيتنا للحاجة إليها وهي كما يلي :

نافع أومحمد المختار تيمنا والملقب ب: (إنفا) بن المزمل بن محمد أحمد الملقب (الآيري أوالمظفر) فالمظفر لقب لمحمد أحمد فهما جد واحد بن إسحاق الملقب (السباخ ولمتون والمكنى أبو مناف) بن الصالح(الملقب الصُّليْحْ) بن أبي بكر الملقب ب(التواتي) بن يوسف (المكنى أبا يعقوب) بن محمد (أبي عبد الله الصغير) بن علي (أبي الحسن) بن سعد بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف (أبو الحجاج) بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن محمد بن نصير بن علي بن يحي بن سعيد بن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه.

من :نثار الأخبار عن آل نافع الأنصار مرتضى الأنصاري من ص ١٢٢-ص ١٤٢

١٠- انطلق بعض من اعترض على هذه السلسلة من تاريخ استشهاد أبي عبد الله الصغير سنة ٩٤٠هـ ليحسب الفارق الزمني بينه وبين أحد أحفاده وهو نافع مشككا ورافضا أن تكون تلك المدة الزمنية المحددة محتوية على ذلك العدد من الأجداد متناسيا أن أبا عبد الله الصغير ولي السلطة سنة ٨٦٤هـ وكان قد تزوج قبل ذلك وأنجب له ولداه قبل توليه السلطة وكان قد هاجر معهما إلى العدوة المغربية فما مات حتى رأى كثيرا من أحفاده وهو ما يصدقه رؤية المقري لهم كسلالة سنة ١٠٢٧هـ أي بفارق ٨٧ سنة ما بين موته ومشاهدة المقري لسلالته في طرق فاس، مما يشير إلى أن الرجل عاصر مالا يقل عن ثلاثة أجيال من ذريته قبل موته حيث كانت المدة بين زواجه وموته ٧٧ سنة .

١١- أشار المقري في نفح الطيب لرؤيته أبناء وأحفاد أبي عبد الله الصغير سنة ١٠٢٧هـ وهو بداية القرن الحادي عشر الهجري ، وهذا التاريخ منسجم جدا من حيث الفاصل الزمني مع بناء نافع لبئر (إنتلك) في تاريخ ١١٢٠ هـ ،حيث إن الفارق الزمني بين التاريخين ٩٣ سنة، وهي مدة كافية جدا لانتقال هذه الأسرة إلى الصحراء وتأسيس اللبنات الأساسية لوجودها هناك من حفر الآبار وغيره ولا قيمة للاختلاف الموجود في روايات أول الداخلين للصحراء من نافع إلى جده محمد أحمد (المظفر)،أو أبي بكر التواتي؛ فقد ينسب عمل الأب إلى الابن و الأب أو الحفيد وقد يعبر بأحدهم عن أبيه أو جده ،ولهذا نظائر مشاهدة في الواقع على مر العصور ،على أن بول مارتي أكد أن المظفر هو من غادر فاس قاصدا آهَقَّارْ عند إدنان . ..لأن مصدر جميع المعلومات التي تتجاوز نافع بالنسبة لآل نافع واحد؛ وهو ما ورد في السلسلة المتداولة ،وهي سلسلة تشوبها شوائب التعمية وإخفاء الحقيقة بغرض التمويه ، والخلط والتحريف من ناسخها حيث مال بها من عند يوسف أبي يعقوب إلى نسب الأم للاستخوال منحرفا عن نسب الأب لسياسة التعمية ، ولهذا لم يعرف حقيقة انتسابهم إلى بني نصر إلا خاصتهم من علمائهم ،ولم يسألهم أحد أو يطلب منهم توثيق النسب؛ لعدم الاهتمام بذلك في حينه ،وتفويضهم لبعض الدراويش المنتفعين.. وحتى ما جرى بين أحمد بن عبدالله الأنصاري والعلامة محمد المختاربن

حود الأنصاري، لم تكن مناسبته تصحيح السلسلة ؛وإنما تصويب الأرجوزة وإجازتها ،كنظم لشاعر مبتدئ، فكانت المناسبة تقتضي من الشيخ محمد المختار ،البيان، و إيضاح حقيقة السلسلة التي نظمها أحمد بن عبدالله الأنصاري، في تلك الأرجوزة، في القصة المشار إليها ، كما أن كثيرا من المراجع والروايات لم تكن معروفة عندهم لعدم تمكنهم من الاطلاع عليها ولعدم الاهتمام بالتوثيق والتدوين بشكل عام ،لأن شخصية مثل الأمير محمد علي الأنصاري المتوفى في ١/٤/ ١٤١٥هـ، لديه كنوز من المعلومات الصحيحة ،وتوفي رحمه الله دون أن يروي عنه أحد المتأخرين المهتمين والمتابعين: رواية واحدة مسندة، رغم ما ورد على لسانه في مقابلة مع مجلة الوسط عام ١٩٩٣م في عددها ٩٣ ووردت منها إشارة واضحة تثبت انتساب آل نافع إلى العائدين من الأندلس في معرض حديثه عن الطوارق وامتزاجهم مع العائدين من الأندلس وهي إشارة كافية، لما نعلمه من سياسة التكتم على حقيقة انتساب آل نافع إلى بني نصر وهذا التصريح تجلّيه وتعززه الرواية التي رواها مرتضى الأنصاري عن الشيخ عبد الله بن الحسن الأنصاري عن الأمير محمد علي بن الطاهر الأنصاري وهي الرواية الوحيدة الموثقة عنه فيما يتعلق بجهة قدوم جدنا إلى الصحراء وأنه قادم من فاس ولم نجد رواية موثقة تنفيها أو تنقضها ، وقد اتفقت تلك الرواية مع ما جاء في كثير من المراجع حول هذه القضية .

١٢- أما التاريخ الذي تبنيناه كرأي صريح في دخول نافع للصحراء فهو لم يكن تاريخا قطعيا كما لم نقطع بصحة أول من دخل الصحراء كما أشرنا سابقا من الثلاثة . نافع أو أبيه المزمل أو جده محمد أحمد (المظفر) أو أبي بكر التواتي،أوغيرهم ؛ وإنما مجرد رأي ظني سقناه للباحث بول مارتي ،كما سقنا رأي غيره ضمن ما اطلعنا عليه من المراجع في هذه المسألة ،تاركين للقارئ حرية التوفيق بين تلك الآراء وترجيح ما يراه مناسبا منها ، علما بأن بول مارتي ينقل عن سكان البادية الرحل ومن المعروف عنهم عدم الدقة في التواريخ وعدم الاهتمام بها وقد يجعلون سنتين أو ثلاثا ،سنة واحدة ..! ولا يهتم بحساب التواريخ وتدوينها إلا القلة من العلماء، وطلبة العلم ،مع تحفّظ فئة العلماء الشديد، في التعاون مع المستعمر

وتزويده بأية معلومات ،قد يستغلها ضدهم، وخاصة في جانب التواريخ والأرقام والإحصاءات ..!

١٣- لا قيمة ولا اعتماد عندنا لبعض الاستنتاجات والتواريخ المبنية على مقدمات وافتراضات مبنية على روايات ملفقة ومدسوسة وغير ثابتة عن بعض النساخ والكتاب المتأخرين من غير أبناء نافع ،والذين استنسخوا الرواية الإسبانية المغرضة دون تدقيق أو تمحيص،والتي مجدوا فيها أنفسهم وبطولاتهم وقهرهم لعدوهم وإذلاله.. فما بني على باطل وغير الثابت، فهو باطل، كالتي وردت في السلسلة المتداولة متأخرا، والتي تنتهي إلى أبي بكر بن حزم ،أو كنانة ،أو التي أوردها أبو بكر الإنشكاغيني المعاصر ،فيما دوّنه باسم : تفتيش الوثائق عن تاريخ التوارق ، وتتعلق بوجود آل نافع في الصحراء إبان فترة حكم يوسف بن تاشفين ! وعلاقة نافع بأحمد بن آدا وفترة وجودهما في الصحراء وحجهما.

انتهى ما أفادني به الشيخ أحمد بن عبد الله الأنصاري وهو المرجع المعاصر والموثوق الذي دقق السلسلة النسبية عام ١٣٨٨هـ وهو الذي سماها الذهبية ولم يصفها أحد بهذا الوصف قبله ،ثم عرضها على شيخه الشيخ العلامة والقاضي محمد المختار بن حود الأنصاري فأرشده إلى ما فيها من الدس والتحريف .(١)

ومن المفارقة العجيبة التي تؤكد صدق المثل : زامر الحي لا يطرب

احتفاؤهم بما كتبه : أبو بكر الإنشكاغيني المعاصر فيما دوّنه باسم : تفتيش الوثائق عن تاريخ التوارق، لأنه فقط ليس من الأنصار ،ولأنه بناه على ما رواه غير الأنصار في السلسلة الملفقة؛ بينما يجادلون في رواية شيخنا أحمد بن عبد الله الأنصاري عن شيخه العلامة والقاضي محمد المختار بن حود الأنصاري،رغم كون ما يكتبه

---

(١) نقلا عن الشيخ أحمد بن عبد الله الأنصاري وانظر أيضا : كتاب الشعر الأنصاري وتاريخه في مراحله الثلاث للأديبين والشاعرين : الشيخ أحمد عبد الله الأنصاري والأستاذ صديق عبد الباقي الأنصاري ص : ١٤٠- ١٤١ .

الإنسان عن نفسه هو المصدر المعتبر،ويؤخذ به، بخلاف ما يكتبه عنه الآخرون. والله أعلم .

المبحث الرابع: رد الأستاذ والأديب والشاعر صديق بن عبدالباقي الأنصاري

كما أفادني الأديب والشاعر الأستاذ صديق بن عبد الباقي مؤلف كتاب الشعر الأنصاري وتاريخه في مراحله الثلاث بمشاركة الشيخ أحمد بن عبد الله الأنصاري أن عددا من شعراء آل نافع من غير الشاعر أحمد بن عبد الله الأنصاري وردت في شعرهم إشارات واضحة تثبت ما صححه الشيخ أحمد بشأن نسبة آل نافع إلى بني الأحمر

والأستاذ صديق هو المعلم الأول للجيل الصاعد حديثا من شبابنا الذين صاروا كتابا وصحفيين لامعين ويعلم من سابق آراء بعضهم إيمانهم التام بمثل ما يتردد فيه بعضهم اليوم لغاية في نفس يعقوب ..! وأورد ردا هذا نصه : كثر الكلام حول نسبة (آل نافع) إلى (آل نصر) حكام مملكة غرناطة وحاول بعض من ينتمي إلى حرفة الأدب والتاريخ زحزحة الناس عنها ، ومحاولة التشويش وإثارة الشغب عند العامة والخاصة لكي يرمي أبناء هذه القبيلة بالتناقض ، وينشر بينهم الشحناء والبغضاء والتدابر لكي يرفع بذلك القدم ، ويستقطب الجماهير أومن باب (والغوا فيه لعلكم تغلبون) .
وربما ادّعى بعضهم، أن هذه النسبة دخيلة، وأنها من ابتكار ناس معيّنين ..الخ لذا أردنا أن نخرج القارئ الكريم من هذا اللبس المتوهم؛ بأن نؤصّل له هذه المسألة أدبيا –إذ لم يدونوا غير الشعر– من خلال نصوص بعض الأدباء والشعراء التي أشارت إلى هذه النسبة غير النصوص المنسوبة إلى الشاعر الكبير أحمد بن عبد الله الأنصاري التي جعلها أولئك في دائرة الاتهام جهلا منهم بحال الشيخ ونزاهته . وأن بعض المعترضين عليه أثبت ذلك من خلال شعره كما أثبته هو وغيره فلماذا التشويه والتشويش الآن ؟!.

من :نثار الأخبار عن آل نافع الأنصار مرتضى الأنصاري من ص ١٢٢-ص ١٤٢

قال الشيخ عبد الرحمن بن سديدي الجلادي الأنصاري يذكر صديقه الشاعر أحمد بن عبد الله الأنصاري:

آباؤه من عند عبد الله والده * إلى قيس كرام عراجن

فتلحظ في البيت السابق أنه نسبه إلى قيس بن سعد بن عبادة والد السلالة النصرية بالأندلس .

في البيت الذي يليه يشير إلى ممالك آبائه وأجداده في الأندلس والصحراء التي أقاموها على العقيدة الصحيحة فيقول:

وهم أقاموا الدين للمختار في * تلك المشاهد بالظبى ومحـاجن

وقال الشيخ محمد المختار بن حود رحمه الله في نونيته الأولى :

لنا السّعْدانِ خيرَ أهل نصرٍ وبُؤنا بالنّبي وقد رضينا

والسعدان هما : سعد بن عبادة رضي الله عنه سيد الخزرج ،وسعد بن معاذ رضي الله عنه سيد الأوس ،وقال أيضا في نونيته الثانية المشهورة :

تمنّيْتم إبادة أهل (نَصْر) * وقلتم : في خلافة الأربعينا

قد انقرضوا، وما لكمُ دليل * على دعوى انقراض النّاصرينا

فنلاحظ أن الشيخ قال: أهل نصر وكان بمقدوره أن يقول بدل ذلك آل إنفا أوالأنصار ، حيث أن مثله لا تحول الضرورات الشعرية بينه وبين مراده في القول ، ولكنه لم يعمد إلى ذلك ليرد على من زعم أن الأنصار قد انقرضوا في زمن الخلافة الراشدة ، بأنه كان لهم وجود قريب في الأندلس متمثل في ملوك بني نصر وأن قبيلة الشاعر من بقاياهم ونفيكم لهم لا يعني شيئا وهو دليل جهلكم وعدم اطلاعكم . وهذا ما يشرحه قوله :

وقد قال الإمام العسقلاني * سراج العصر تاج العارفينا

بأن الخزرجيين وأوسا * لهم في الأرض نسل صالحونا

وكان زمانه منا قريبا * وليس على مداهنـة ظنينا

وإن القول في الأنصار وُسْعٌ * أضـلّ الله سعي المنكرينا

وهو ما رواه عنه تلميذه أحمد بن عبد الله الأنصاري الذي يعتبر من صفوة أهل بيته علما وفضلا ودينا ، في حين يشكك فيما يرويه لنا في هذه المسألة ، بعض الجهلة

والمغرضين الذين لم يسبق لهم قدم صدق في خدمة الأنصار ، ولم يكتمل لديهم ما اكتمل عند الشيخ من العلم والإحاطة به .

وقال الدكتور عبد الله بن محمد بن مهدي الأنصاري :

وفي غرناطـة كنا ملوكا نسوس الناس في الحمرا ونزهو

لنا في الأرض تاريخ شهيد فمن ذا ينكر التاريخ من هو

فمن الواضح أن الشيخ في الأبيات السابقة نسب نفسه وأسرته إلى ملوك (غرناطة) من بني نصر ودار ملكهم (الحمراء) ، وهو ما أقره وقال به في نصوص كثيرة من شعره منها قوله في مكان آخر مشيرا إلى انتهاء ملك آبائه بالأندلس وطرد الكفار لهم إلى العدوة المغربية حيث صاروا موالين للوطاسيين حكام المغرب آن ذاك :

بأندلس بتسع مئين عاما * لهجرة من يميزه اصـطفاء

فجاء الكفر يتبعنا حقودا * ليطـردنا ويتبعه الولاء

وهذا الشاعر الدكتور أحمد بن محمد عمر الأنصاري يشير إلى ذلك في شعره معتزا بآبائه النصريين ملوك الأندلس فيقول :

فأندلس الإسلام أضحى جنائنا* وملّكت الأنصار جل المحلة

أقاموا كتاب الله في ذي المحطة * ملوك بني نصر كرام أجلة

ويقول في مقدمة قصيدة أخرى بعنوان (أمنا طيبة) :

تراءت من ربا نجد ديار لآل النصر أولها قباء

وقال أيضا في رثاء الشيخ أبي سعد رحمه الله:

بكت أعيني حتى تحجر دمعها على فقد شيخ للعزائم يقصد

بكته بنوالأنصارمن آل نافع كما قد بكته المكرمات ومسجد

وهذا الشاعر والقاص الشيخ عبد الواحد الأنصاري، يبكي سلطان آبائه في الفردوس المفقود بحرقة مدللا على ذلك الانتماء بقوله :(سليبة من عامريها القُيُولِ) .

كأنني في قصر غرناطة * وحشده من مظهري في ذهول

إلى أن قال :

فيا بني الأحمر أين الهدى * وما الذي عكر صفو الشمول

من :نثار الأخبار عن آل نافع الأنصار مرتضى الأنصاري من ص ١٢٢-ص ١٤٢

سلّمتم الكفر مفاتيح ما * شيّدتموه في عناءٍ طويل
فاغتال بالصلبانِ محرابكم * وسامكمْ بكلّ خسفٍ وبيلِ
لهفي على أندلسٍ أصبحتْ* سليبة من عامريها القُيُولِ
لهفي عليها كلما أدبرتْ *شمسٌ وجرّت حزنها بالذيولِ
إذا أَجَلْتُ الفكر فيها أبتْ *عيناىَ إلا برهةً من هطولِ

وقوله من قصيدة بعنوان:

متتالية لأشجان الشيخ (قصيدة معارضة)،ردا على قصيدة شاعر القبيلة أحمد بن عبدالله الأنصاري ومطلع المعارضة:

أتاني شميم العطر من جعبة الزهر ** فساورني شوق المداد إلى السطر ...إلى أن قال:

**...

سلاما على ذاك الزمان وخيره ** وثلة آباء لهم أطيب الفخر
رأينا حبال المجد بعد رحيلهم ** تقطع إلا ما تبقى من الذكر
فما تعذب الأسمار إلا بذكرهم ** ولا عذر إلا ما تبقى من الذكر
ولا تتلهى النفس عن حرقة النوى ** **سوى بانتماء يستقيم إلى نصر** ...

إلى قوله فيها :

....**

لنا قصة قد قدرالله أنها ** تكون لنا حتى هبطنا إلى القعر
فأصبحت الأيام تجري بأمرها ** علينا وقد كانت لنا قدرا يجري
وغيّرت الأبصار نظرة مكبر ** إلينا فعادت نظرة الكمّ للصفر
كأن خيولا لم تعسكر لنا ضحى ** **بحمراء أو تغزُ الكناتةَ في الفجر**

**... إلى قوله فيها:

سلام على تلك العراص وإن تكن ** غدت قفرة إلا عبورا من السفر
يخفف حاديهم أصيلا مسيره ** **ويهمس :كانت هذه لبني نصْرِ** ...

....**

انتهى المنقول عن الأديب صديق عبد الباقي الأنصاري .

من :نثار الأخبار عن آل نافع الأنصار مرتضى الأنصاري من ص ١٢٢-ص ١٤٢

المبحث الخامس:ملحوظات على السلسلة المتداولة:

ومما يستوقف المهتم والمتابع في هذه السلسلة التي كتبت لآل نافع من غيرهم:

١–من المعلوم أن سياسة بعض القبائل في المنطقة هدفت إلى تمييع هوية آل نافع وتذويبهم في الطوارق وإيجاد الحواجز العميقة والفواصل الأبدية بينهم وبين العرب ،لما يتميز به آل نافع من قوة الشكيمة والموقع الدفاعي والحربي والسيطرة على القيادة الدينية ،ومن المؤشرات القوية على ذلك كون عضو الإدارة الفرنسية البارز بول مارتي لم ينقل في كتابه : الأنصار ،تلك الأسماء والألقاب التي زج بها في السلسة بقصد ترسيخ الانتماء إلى غير الأنصار أو تكريس التناقض غير المنطقي..!! ؛لأن هدفه الاستعماري مختلف ؛ ولأن معظم معلوماته في كتابه عن الأنصار هي : الرواية الشفوية عن الأنصار أنفسهم ،وليس من مصدر خارجي من غيرهم!

وجل الرواية التي وردت في قصة الرحلة والسلسلة تعد ضعيفة جدا،ولا تثبت؛ إذ لم أجد ما يثبتها من شعرهم أونثرهم ؛بل يعد ما ورد في خبر الرحلة والسلسلة مشكوك في اطلاعهم عليه على نطاق واسع؛بل على نطاق محدود جدا قبل سبعينيات القرن العشرين؛إذ لم يتم تداولها بينهم، إلا على نطاق ضيق جدا، بدليل أن الشيخ العلامة القاضي محمد المختار بن حود الأنصاري رحمه الله نفاها ،وأقرب حالها إلى كونها مدسوسة لغرض سياسي ؛إذ لا أحد من علمائهم ونساخهم وكتابهم – قبل الشيخ أحمد بن عبد الله الأنصاري الذي نسخها وسماها الذهبية قبل أن يعرف رأي شيخه فيها– قام بنسخها أو التوقيع عليها ؛بل كتبت نيابة عنهم ونسبت إليهم وقبلها من قبلها منهم ؛لعدم مبالاتهم بمثل هذه الأمور إبان عزهم ، ولم نسمع أن أحدا من معاصريهم من الأنصار قال بصحة نسبتها إليهم ،بدليل إنكار مشيخة العلم لها أونسبتها إليهم ومن اضطر إلى ذكرها اضطر إلى ذكرها باستحياء ومحاولة إرجاعها إلى نصابها الصحيح حيث فعل ذلك غير واحد منهم ،كما هو مشهور على سبيل المثال عن الشيخ محمد بن

من :نثار الأخبار عن آل نافع الأنصار مرتضى الأنصاري من ص ١٢٢-ص ١٤٢

المنذر الأنصاري رحمه الله ،فلو ثبتت عنده صحتها لما تجشم غمار تصحيحها مما أدى به إلى خطأ المجتهد ،حيث كان أول من أضاف محمد بن أبابكر بن حزم في السلسلة وتراجع عنه لاحقا كما رواه تلميذه الشيخ أحمد بن عبدالله الأنصاري عنه.

٢-أن هذه السلسلة المذكورة غير منتشرة بين آل نافع ولم تصل بعضهم إلا في السبعينيات الميلادية ، وأول من نشرها في منطقة شرق تمبكتو: الشيخ محمد أحمد بن الطاهر بن المهدي الأنصاري عندما عين حاكما لمنطقة آغاروس جنوب نهر النيجر، وأول من نظر فيها بعين الريبة واجتهد في تصويبها الشيخ محمد بن المنذر الأنصاري رحمه الله كما سبق، والشيخ أحمد بن عبد الله الأنصاري وهو من نسخها وسماها الذهبية ونظم فيها أرجوزة طويلة لكنه تراجع عن قبولها بعد أن عرضها على شيخه العلامة والقاضي الشهير محمد المختار بن حود الأنصاري قاضي الصحراء في زمانه ، الذي نفاها ونبهه إلى عدم صحتها وقال له :نحن نعود إلى بني نصر حكام غرناطة ، والشيخ أحمد بن عبد الله الأنصاري ،هو الذي أخذ على عاتقه تصحيحها منذ ذلك الحين وإلى اليوم ،والنسخة الوحيدة المعتمدة لديه هي المذكورة هنا في بداية المبحث مستندا فيها إلى كلام شيخه العلامة محمد المختار بن حود الأنصاري وكتاب بول مارتي عن الأنصار، وقد استندت إليه في موضوع السلسلة والنسبة إلى أبي عبد الله الصغير تحديدا كما استندت أيضا إلى رأي الشيخين الكريمين : (محمد صالح بن محمد الأنصاري شيخ الأنصار من آل نافع في السعودية وأخيه الدكتور محمد بن محمد بن الأمين الأنصاري) منذ عام ١٤٠٠هـ – رحمهما الله– في النسبة إلى بني نصر من غير تعيين وهو أمر مستفاض ومشهور عند شريحة واسعة من آل نافع كما درجوا على أسماء وألقاب مثل : نصر و نصري والنصري وغرناطي والغرناطي وابن قرطبة وابن القرطبة ..

٣- من قرأ كتاب : تاريخ السودان للسعدي يتقين ويطمئن إلى أن هذه الأسرة لم تكن موجودة في الصحراء المغاربية قبل بدايات القرن الثاني عشر الهجري ؛ ذلك أن الكتاب عبارة عن رصد دقيق بشكل استقصى وأحصى كل من كان موجودا أو دخل

منطقة تنبكتو وقاو وجني وأروان وأدرار وماسنة من السكان السودان والتوارق و المغاربة أو العرب بشكل عام ،وذكر الأحوال السياسية والاقتصادية والتعليمية والعلمية والمدارس والجوامع والمنازل والمواليد والزوار والمسافرين والوفيات والتواريخ والأمراء والقضاة والعلماء وطلبة العلم والحروب والجنود وأحوال البلاد بشكل عام ومن توالى على حكمها ومن مر على أرضها... ومع ذلك لم يأت على أية إشارة إلى أي فرد منهم ،ومن قرأ الكتاب يعلم أنه يستحيل أن يكون السعدي فات عليه الإشارة إلى من هو في مثل شهرتهم ومكانتهم أو أقل منها وكتب إلى ١٠٦٥هـ .

٤- يضاف إلى ما سبق أن أقدم النصوص المدونة عنهم أو منهم سواء الفقهية أو الشعرية أوالأدبية أوالتاريخية عمرها لا يتجاوز خمسين ومائة سنة ! فأين إنتاجهم أو ما دوّن عنهم في القرون المزعومة من السادس إلى بدايات الثاني عشر الهجري ..؟! سوى ما جاء في السلسلة المدسوسة والرحلة المضطربة .

٥- بعض من نسخ هذه السلاسل ،يحاول ربط وجود آل نافع في صحراء الجزائر بدولتي المرابطين والموحدين ،مستنتجا أن استقرارهم فيها منذ القرن الخامس أو السادس الهجري،وأن لهم فيها خمسة قرون،وهذاغلط شنيع وتدليس مقيت،لا برهان عليه ،وهو بعيد جدا عن الحقيقة والواقع ، وينافي الرواية الخاصة ببعض علماء وأعلام آل نافع عن أجدادهم،ونقلها عن بعضهم الفرنسي :بول مارتي،وأوردها الزعيم محمد علي الأنصاري في جميع مروياته الشفوية ومقابلاته الصحفية،وتؤكدها رواية الشيخ أحمد بن عبدالله الأنصاري السابقة،وغيرها،كما يؤكدها تاريخ حفر نافع لأول بئر في الصحراء فور استقراره بها،وهو بئر (إن أتلك) عام ١١٢٠هـ، ولأنني شخصيا ،وغيري من آل نافع نعرف الكثير من المشاهير ،وآحاد الآباء والأجداد المعروف وفياتهم بالدقة أوبالتقريب،وعاصرهم بعض من عاصرناهم،والذين ليس بينهم وبين محمد بن نافع إلا ثلاثة ،أوأربعة رجال،وجميع هؤلاء كانت وفياتهم، إما نهايات القرن الثالث عشر الهجري ،أو بدايات القرن الرابع عشر،فلا يعقل أن يكون بين الرجل وجده الثالث أو الرابع أو الخامس، ٥٠٠ أو ٧٠٠ سنة!، في حين

من :نثار الأخبار عن آل نافع الأنصار مرتضى الأنصاري من ص ١٢٢-ص ١٤٢

عاصرت بعض الأجداد والجدات ممن عاصر ثلاثة أجيال من أبنائه وأحفاده: جيل الجد،وجيل ابنه،وجيل أحفاد ابنه.

٦–ورد في السلسلة المتداولة،من الأخطاء التاريخية ما ينسف احتمال قبولها،أو إمكانية تصويبها مثال ذلك :

أ–مروان بن الحكم كاتب عثمان بن عفان رضي الله عنه،ومروان هو والد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان بن الحكم،فكيف يكون وزيرا لحفيده الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان ؟وواضح من السياق أن المقصود هو يزيد بن معاوية،وليس الوليد بن يزيد بن عبدالملك ،بقرينة الإشارة إلى وقعة الحرة واستباحة المدينة ثلاثة أيام بلياليها،وهي حادثة كانت في عهد يزيد بن معاوية على يد مسرف بن عقبة،قبل وصول آل مروان للخلافة.!

بـ - محمد بن أبي بكر بن حزم ،مقحم في السلسلة حديثا، بدلا من أبي بكر محمد بن عبدالله العربي المالكي المعافري،وكان الشيخ محمد بن المنذر بن إبراهيم الأنصاري–رحمه الله– هو أول من استشكل نسبة القبيلة إلى أبي بكر بن العربي المالكي (صاحب كتاب أحكام القرآن) المشهور ،ونسبته تلك السلسلة إلى بني كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان!،.. فرأى أن من كتبوا السلسلة أخطأوا فوضعوا أبا بكر بن العربي واسمه محمد بن عبدالله المالكي المعافري،ت ٥٤٣هـ ،بدلا من محمد بن أبي بكر بن حزم الأنصاري ؛لاستحالة نسبة القبيلة الأنصارية إلى رجل معافري من اليمن أو نسبتها إلى مضر وهي قحطانية .. فهو أول من وضع اسم محمد بن أبي بكر بن حزم في السلسلة ،وليس من أنشأوها،وكان ذلك سبعينيات القرن العشرين، وقد رجع عن ذلك بعدما اتضح له عدم صحته وقال:هو اجتهاد مني تبين لي خطأه فرجعت عنه،حسب رواية الشيخ أحمد بن عبدالله الأنصاري عنه،وهو ابن أخته،وأحد طلابه المقربين.

جـ - أبو بكر بن حزم والي المدينة النبوية لبني أمية تابعي من القرن الأول للهجرة ولم يغادر الجزيرة العربية والشام ولم تطأ قدمه إفريقية والأندلس؛ بينما ابن العربي

من :نثار الأخبار عن آل نافع الأنصار مرتضى الأنصاري من ص ١٢٢-ص ١٤٢

المالكي عاش بين القرنين الخامس والسادس الهجريين وهو أندلسي إشبيلي ليس معاصرا ولا مجاورا لأبي بكر بن حزم فلا يمكن الالتباس بينهما ..

د-بعض الأسماء الواردة في السلسلة إبان العهد المصري-وهي مرحلة مبكرة جدا من تلك الرحلة- مثل: لمتون بن سنب بن يحيى،وتعد غير مألوفة،وتعود لمنطقة جغرافية مختلفة،وفي زمن لم يكن التواصل بين الشعوب،والتبادل الثقافي متاحا بتلك السرعة..!مما يطرح سؤالا منطقيا عن سبب إقحامها في السلسلة بقصد تحريفها إلى صراع أيدلوجي،وإنثربيولوجي معروف، لا علاقة لآل نافع به،ولا عهد لهم به..!

٧-لا يقول أحد باشتراط وجود سلسلة النسب، لإثباته، بل المتعارف عليه – عند العلماء وجميع القبائل والشعوب - ثبوت النسب بمجرد اشتهاره واستفاضته وتواتره،فإذا تقرر هذا ؛ فإن كتابة السلاسل النسبية من تكلف ما لا يلزم،ونحن آل نافع من الأنصار الخزرج إجماعا،ومن بني ساعدة ، من ذرية قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما ؛لاستناده لرواية بعض علماء الأنصار ورموزهم،ولا مشاحة مع من يرى خلاف ذلك.